

صدقيا دق عزت شاكر

كان صدقيا ملكاً متردداً ومتذبذباً نجح في إسقاط السقف على رأسه، ونجح في قيادة البلاد إلى الخراب والدمار. إن شخصية صدقيا فيها العديد من الدروس والعبر فدعونا ندرسها.

أولاً: من هو صدقيا؟

صدقيا اسم عبرى معناه "الرب بار" أو "الرب عادل"، وهو آخر ملوك يهوذا، الابن الثالث للملك يوشيا. واسم أمه حميطل بنت إرميا من لبنة (٢ مل ٢٤ : ١٨) وبذلك هو شقيق يهو آحاز (٢ مل ٢٣ : ٣١). أما يهوياقيم فقد كان من أم أخرى هي زبيدة بنت فداية (٢ مل ٢٣ : ٣٦).



وقد كان صدقيا أصغر اخوته، وملك بعد أخويه يهوآحاز الذي أسره فرعون "نخو" ملك مصر، ثم ملك عوضاً عنه الياقيم وغير اسمه إلى يهوياقيم،

ثم ملك ابنه يهوياكين ثلاثة أشهر وسباه نبوخذ ناصر إلى بابل، وملك بدلاً منه متنيا عمه وغير اسمه إلى "صدقيا".

وقد تولى الملك وهو ابن إحدى وعشرين عاماً، وملك إحدى عشرة سنة من (٥٩٧ - ٥٨٦ ق. م). وقد كان ملكاً شريراً وفساداً قاد المملكة إلى الخراب.

ثانياً: الملك الذي لم يستغل الفرصة:

كان صدقيا ملكاً ضعيفاً متردداً يتحرك كيفما تحركه الريح، وكانت المأساة الكبرى أن نبوخذ ناصر عندما غزا يهوذا أيام يهوياكين لم يحمل معه خيرات الأمة فحسب بل أفضل الناس

الذين فيها

وأشرفهم

وتركها بلا

رجال وبلا

مال "مساكين

الأرض".

وألتف حول

صدقيا مجموعة من الحمقى الذين لا يعرفون كيف يزنون الأمور، فكانوا يحركونه كيفما يشاءون، وكانوا يتصرفون في الأمور بدون خبرة أو حكمة أو فهم.

هذا إلى جانب أن الفساد كان قد استشرى في كل أرجاء المملكة من بعد موت يوشيا عام ٦٠٨ ق م. ولكن الله لم يترك شعبه

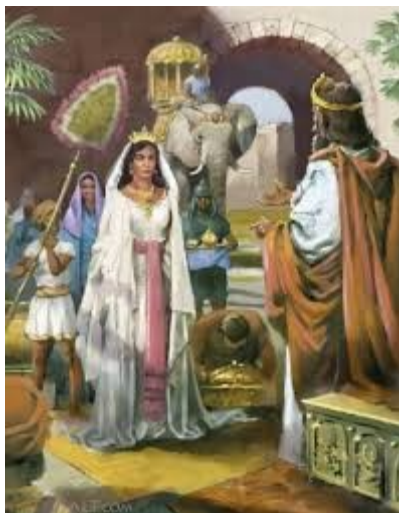


فيقول الوحي: "فأرسل الرب إله آباءهم إليهم عن يد رسله مبكراً ومرسلاً لأنه شفق على شعبه وعلى مسكنه. فكانوا يهزأون برسول الله وردلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء" (٢ أخ ٣٦ : ١٥ ، ١٦).

لقد كانت هناك فرصة عظيمة أمام صدقيا وهي وجود إرميا النبي إلى جواره، وقد كان صدقيا يؤمن برسالة إرميا وقد دعاه مرات عديدة ليتحدث إليه وليسمع منه كلمة الرب لكنه مع ذلك لم ينتفع كثيراً بالكلمة رغم وضوحها. ففي أحد المواقف أرسل صدقيا الملك فشور بن ملكيا وصفنيا بن معسيا الكاهن إلى إرميا قائلاً: "اسأل الرب من أجلنا لأن نبوخذ ناصر ملك بابل يحاربنا... (إر ٢١ : ٢). ولكن للأسف عندما تنبأ بكلمات لم تأت على مزاج صدقيا أمسكه وحبسه قائلاً: "لماذا تنبأت قائلاً هكذا قال الرب: هأنذا أدفع هذه المدينة ليد ملك بابل فيأخذها... (إر ٣٢ : ٣).

وفي موقف آخر أرسل صدقيا الملك يهوخل بن شلميا وصفنيا بن معسيا الكاهن إلى إرميا النبي قائلاً: "صل لأجلنا إلى الرب إلهنا...." (إر ٣٧ : ٣). وعندما تكلم إرميا بما لا يريح الملك ورؤسائه أمسكوا إرميا وضربوه وألقوه في السجن (إر ٣٧ : ٣). وأمر صدقيا الملك بأن يعطوا إرميا رغيف خبز كل يوم.

ومن شدة غيظهم أمسكوا إرميا وربطوه بحبال ودلوه في جب لم يكن فيه ماء بل وحل وغاص إرميا في الوحل (إر ٣٨ : ٦). وفي الحقيقة قبل أن يغوص إرميا في الوحل كان الملك صدقيا وكل شعب المملكة قد غاص في وحل الشر والإثم.



ويتضح ضعف الملك صدقيا وتردده من موقف آخر عندما أرسل واستدعى إرميا من السجن سراً ليسأله ماذا يفعل (إر ٣٧ : ١٧ ، إر ٣٨ : ١٤ - ٢٧).

لقد سجن إرميا تحت ضغط الرؤساء المحيطين به، لأنه كان لا يجسر على مخالفتهم. وبالرغم من أنه سجن إرميا إلا أنه كان يشعر بصدق الرجل وأمانته، وكان يتمنى في قرارة نفسه أن يستمع إلى نصيحته رغم شدتها وقسوتها، ولكنه للأسف لم يسمع لا هو ولا عبيده ولا شعب الأرض لكلام الرب على فم إرميا (إر ٣٧ : ٢) لقد ضيَّع الفرصة.

عزيزي القارئ إن الكلمة قريبة منك فلا تهملها. إن الرسالة إلى جوارك فاسمع لها ولا تضيع فرصة خلاصك.

ثالثاً: صدقيا والأنبياء الكذبة:

عندما تولى صدقيا الملك عام ٥٩٧ ق م كانت المملكة تعيش في معاناة شديدة نتيجة لما حدث أيام يهوآحاز ويهوياقيم ويهوياكين. فقد غزا نبوخذ ناصر أورشليم - كما درسنا سابقاً - في أيام يهوياقيم، وأيضاً في أيام يهوياكين ونهبها وأخذ شرفائها وأفاضلها، وأصبحت يهوذا عبارة عن مقاطعة بابلية لدرجة أن نبوخذ ناصر هو الذى ملك صدقيا على أورشليم وبالتالي كان لابد أن يكون خاضعاً له.



وفى عام ٥٩٤ ق م بعدما مات " نخو " فرعون مصر تولى العرش بسماتيك الثانى

(٥٩٤ - ٥٨٩ ق م) وتحالف مع أدوم وموآب وعمون وفينيقية ضد بابل وشكّل هذا ضغطاً على يهوذا وعلى صدقيا لكى ينضم إليهم ضد بابل. ولكن إرميا عارض بشدة ووضع نيراً من الخشب حول عنقه وأعلن بأسلوب تصويرى أن الشعوب لابد وأن تخضع لبابل لأن هذا هو قضاء الله. وأكد لصدقيا أنه إذا خضع لبابل سيجنب الأمة الخراب القادم الذى سيحل بأورشليم، وإذا رفض سيهلك (إر ٢٧).

ولعل أخبار هذا التمرد قد وصلت إلى نبوخذ ناصر فاستدعى صدقيا إلى بابل فذهب هو وإرميا لاعلان فروض الطاعة لنبوخذ ناصر (إر ٥١ : ٥٩) ولعل هذا يفسر عدم حدوث التمرد فى ذلك الوقت.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد فقد كان هناك أنبياء كذبة أعلنوا التمرد والعصيان على بابل وأكدوا أن الرب سيكسر نير بابل فى سنتين عن عنق الشعب، وأعلنوا أن كل كنوز الهيكل التى نهبها نبوخذ ناصر من قبل ستعود خلال سنتين. وأخذ حننيا النبى الكذاب النير عن عنق إرميا وكسره وقال: "هكذا قال الرب: هكذا أكسر نير



نبوخذناصر ملك بابل فى سنتين من الزمان عن عنق كل الشعوب....." (إر ٢٦ : ١١). وانطلق إرميا إلى سبيله وهو فى حالة من الدهول، لأنه لم يكن شخصاً خائناً لوطنه عندما طلب من الشعب أن يقبلوا نير ملك بابل، بل كان محباً وغيوراً على بلده وعلى مستقبلها. ولذلك سرعان ما عاد إرميا برسالة أخرى من الرب إلى حننيا قائلاً: "هكذا قال الرب: قد كسرت أنيار الخشب وعملت عوضاً عنها أنياراً من حديد. لأنه هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل: قد جعلت نيراً من حديد على عنق هؤلاء الشعوب

ليخدموا نبوخذناصر ملك بابل فيخدمونه وقد أعطيته أيضاً حيوان الحقل". (إر ٢٨ : ١٢ - ١٤). وأعلن أن حننيا سيموت في نهاية العام، وهكذا حدث وكان هذا دليلاً على صدق رسالته.

وكان إرميا يصرخ في وجه كل الرؤساء والكهنة وكل الشعب قائلاً: "لا تسمعوا كلام أنبيائكم الذين يتنبأون لكم قائلين ها آنية بيت الرب سترد سريعاً من بابل. لأنهم إنما يتنبأون لكم بالكذب. لا تسمعوا لهم. اخدموا ملك بابل واحيوا. لماذا تصير هذه المدينة خربة" (إر



٢٧ : ١٦ و ١٧).

وبالرغم من ثبات صدق إرميا إلا أن صدقيا إنقاد وراء الأنبياء الكذبة. لقد كان إرميا يعلن الحقيقة وكثيراً ما تكون الحقيقة مرة، وكثيرون في كل جيل وكل عصر يهربون من الحقيقة المرة ويبحثون عنم يكلمونهم بالناعمات، الكلام المريح السهل. وإلى اليوم هناك من يهربون من مسؤولية إتخاذ القرار فيلجأون إلى من يدعى القدرة على اعلان مشيئة الله ليتخذ لهم القرار.

وهناك من تقودهم الضغوط الصعبة والمشاكل المستعصية إلى الإلتجاء إلى السحر والشعوذة. إن الأنبياء الكذبة منتشرون في كل مكان إلى اليوم يقدمون الوعود البراقة، والكلمات الجميلة المريحة للناس، يدفعونهم إلى عدم مواجهة الواقع بكل مافيه، والهروب من أعمال العقل، فلا يحصدون إلا الخراب كما حصد صدقيا.

رابعاً : صدقيا وخراب المملكة:

بعد موت بسماتيك الثانى فرعون مصر (٥٩٤ - ٥٨٩ ق م) تولى الملك خفرع (HOPHRA) (٥٨٩ - ٥٧٠ ق م) عرش مصر، وفى عام ٥٨٨ ق م نظم حملات عسكرية إلى آسيا (إر ٤٠ : ١٣ - ٤١ : ١٥ ، حز ٢١ : ١٨ - ٣٢).

وقد أطاع صدقيا صوت الأنبياء الكذبة وتحالف مع ملك مصر، فأعتبر نبوخذناصر أن هذه الحركة خيانة له، فهجم على أورشليم ووضعها تحت الحصار (إر ٢١ : ٣ - ٧) وأسقط القلاع الحصينة واحدة تلو الأخرى لدرجة أنه فى نهاية السنة لم يتبق من النقاط إلا لخيش وعزيقة (إر ٣٤ : ٦ ، ٣٧ ، حز ١٧). ويذكر يوسيفوس أن هذا حدث فى السنة الثامنة للملك حزقيا.

وحدث في ذات يوم بينما كان إرميا في طريقه إلى عناثوث أن الرؤساء قبضوا عليه وضربوه وألقوا به في السجن بتهمة التحيز لبابل. واستدعى صدقيا إرميا في لقاء سرى بينهما ونصحه إرميا وتوسل إليه بعدم الاستماع إلى الذين فضلوا الاستمرار في مقاومة نبوخذناصر. ولم يستطع صدقيا تنفيذ وصية إرميا لأنه كان يخشى الرؤساء الذين عقدوا العزم على الصمود حتى النهاية. وما دفعهم لذلك الأخبار التي وصلتهم عن تقدم جيش مصر للدفاع عنهم، وتراجع البابليون أمام المصريين، ولذلك

عندما سمع نبوخذناصر أن ملك مصر "خفرع" في طريقه لنجدة يهوذا، رفع الحصار عن أورشليم لمواجهة فرعون مصر. وهكذا سرت سعادة غير عادية في قلوب أهل أورشليم، وبدأوا يصدقون صوت الأنبياء الكذبة.



ولكن كان تراجع البابليين عن أورشليم تراجعاً

تخطيئياً مؤقتاً (إر ٣٧ : ٥). ولذلك كان إرميا يصرخ: "ها إن جيش فرعون الخارج إليكم لمساعدتكم يرجع إلى أرضه إلى مصر". ويرجع الكلدانيون ويحاربون هذه المدينة ويأخذونها ويحرقونها بالنار. هكذا قال الرب: "لا تخذعوا أنفسكم قائلين إن

صدقيا ١٠

الكلدانيين سيذهبون عنا لأنهم لا يذهبون... " (إر ٣٧ : ٧ - ١٠).

وفعلاً ارتد جيش مصر إلى الورااء أمام هجوم البابليون عليه، وأعاد البابليون الحصار مرة أخرى على أورشليم، وأصبح الموقف ميئوساً منه. وصمدت أورشليم أمام الحصار نحو سنة ونصف عانى خلالها الشعب ويلات الجوع والوباء (٢ مل ٢٥ : ١ - ٤) وقد أراد صدقيا أن يستسلم ولكنه جبن (إر ٣٨ : ١٤ - ٢٣).

وفى السنة التالية سقطت المدينة عام ٥٨٦ ق م أثناء الليل (٢ مل ٢٥ : ٢) واقتحم البابليون المدينة واندفعوا داخلها، وكما يقول يوسيفوس أحرقوا الهيكل عن آخره، وهدموا أسوار أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار، وأخذوا جميع أنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه إلى بابل (٢ أخ ٣٦ : ١٧ - ٢١) وقتلوا كل أشرف يهوذا (إر ٣٩ : ٦) ومعظم الشعب سبهم إلى بابل، ولم يتركوا فى أورشليم إلا مساكين الأرض (٢ مل ٢٥ ، ٢ أخ ٣٦) والذين أبقاهم نبوخذناصر ملك بابل فى أورشليم وگّل عليهم جدليا بن أخيقام بن شافان (٢ مل ٢٥ : ٢٢).

لقد استطاع صدقيا بتهوره واندفاعه أن يقود المملكة إلى الخراب الشامل.

خامساً: صدقيا والعقاب المرير:

لقد كان من الممكن أن يفعل الرب مع نبوخذناصر كما فعل من قبل مع سنحاريب وجيشه عندما كان يهدد حزقيا (٢ مل ١٩ : ٣٥ - ٣٧)، أو كما فعل مع بنى موآب وبنى عمون وسكان جبل ساعير عندما كانوا قادمين لمحاربة يهوشافاط (٢ أخ ٢٠ : ٢٠ - ٣٠)، أو كما فعل مع زارح الكوشى عندما كان يهدد آسا الملك وخرج إليه بجيش كبير (٢ أخ ١٤ : ١٠ - ١٣). لكن كانت المأساة تكمن فى القول الإلهى: "كان صدقيا ابن إحدى وعشرين سنة حين ملك وملك إحدى عشرة سنة ... وعمل الشر فى عيني الرب إلهه ولم يتواضع أمام إرميا النبى من فم الرب وصلب عنقه وقوى قلبه عن الرجوع إلى الرب إله إسرائيل. حتى أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذى قدسه فى أورشليم" (٢ أخ ٣٦ : ١١ - ١٤).



لقد كان العلاج الصحيح يكمن فى التوبة الصادقة والرجوع إلى الله، ولكن صدقيا استمر فى عناده وفساده فحصد الخراب .

عندما دخلت القوات البابلية ليلاً إلى أورشليم أراد صدقيا أن ينجو بحياته ففكر في الهرب إلى وادي الأردن ولكن الكلدانيين طاردوه إلى أن أمسكوا به في أريحا وجاءوا به إلى نبوخذناصر في ربة. وكان أول شيء يفعلوه به أنهم قتلوا أولاده أمام عينيه (٢ مل ٢٥ : ٧) وهل يوجد عذاب في الدنيا أشد من أن يرى الإنسان أولاده يذبحون أمامه.

ثم بعد ذلك قلعوا
عينيه وقيدوه
بسلسلتين من
نحاس يقال أن
وزنهما حوالي
ثمانية أرطال
وسيق عبداً ذليلاً



مهاناً إلى بابل (إر ٣٩ : ٢ - ٩). ولا أستطيع أن أتخيل مدى العذاب الذي كان يعانيه صدقيا وهم يضعون سيخاً من حديد ولعله كان محمى بالنار في عينيه. ولم ير صدقيا بعد ذلك إلا الظلام. لقد كان آخر منظر يراه هو قتل أولاده ولم ير بعد ذلك أي منظر يعزى أو يفرح ولم تعرف الابتسامة طريقها إلى شفثيه بعد ذلك إلى أن مات.

وقد تنبأ حزقيال النبي عن صدقيا أنه لا يرى بابل (حز ١٢ : ١٣) ويقول القديس يوحنا فم الذهب أن هذا ما حدث بالفعل لأنهم فقأوا عينيه في ربة ثم أقتيد إلى بابل ولذلك لم يراها.

لقد سقطت المملكة عام ٥٨٦ ق م بعد حوالي ٣٧٩ عاماً من إنشائها. وكان صدقيا في ذلك الوقت ابن اثنين وثلاثين عاماً في أوج الشباب ولم تكن مأساته إلا صورة لمأساة الأمة بأكملها.

لا نعرف كم من السنين قضى صدقيا أسيراً في بابل، ولكن يبدو أنه مات قبل أن يتولى أويل مردوخ العرش في السنة السابعة والثلاثين من سبي يهوياكين، وهي السنة السادسة والعشرين من سببه هو. لأن أويل مردوخ رفع وجه يهوياكين وأخرجه من السجن (إر ٥٢ : ٣١ - ٣٤) ولم يذكر الوحي شيئاً عن صدقيا مما يدل على أنه مات قبل ملك أويل مردوخ.

لقد ظل في السبي في عذاب شديد أشد من عذاب شمشون عندما قلعت عيناه وكان يطحن في بيت السجن، والتقاليد تقول أنه كان يفعل نفس الشيء إلى أن مات في سجنه.

لقد عاش صدقيا في عذاب الضمير وهو يتذكر نصائح إرميا له وأدرك أنها أمينة هي جروح المحب وغاشة هي قبلات العدو (أر ٢٧ : ٦).

لقد كانت هذه هي النهاية الطبيعية للشر والفساد والابتعاد عن الرب، لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية.